

خطاب صاحب الجلالة في المؤتمر الاول لوزراء العدل العرب

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

أصحاب السعادة

انه لمن أسباب مسرتنا ان نرى اليوم في هذا البلد العربي، وفي هذه المدينة الأصيلة الأسرة العربية متجمعة من جديد حول موضوع يعد اليوم من أهم مواضيع الدين الإسلامي والفضيلة العربية، ألا وهو العدل وما يتعلق بالعدل.

وقد وجدت نفسي البارحة في حيرة، هل سأخاطب وزراء العدل أم هل سأخاطب الوزراء فقط ؟ فإن خاطبتكم كوزراء العدل كان خطابي خطابا تقنيا لا يمكن أن يفي بما نتوخاه جميعا وبما ننتظر من ورائه من نتائج، اما ان خاطبتكم كوزراء بمعنى كمسؤولين حكوميين تخططون لسياسة بلادكم وتوجهونها توجيهاتها، تمكنا أن نتطرق إلى مواضيع نحن العرب في أشد حاجة إلى أن نتدارسها بأكثر ما يمكن من الواقعية ومن عدم الإنحياز.

انني سأخاطبكم كعربي، ولكن قبل كل شيء، كعربي درس القانون الحالي ودرس تاريخ القانون وتطوراته، انني مؤمن بوحدة هدف الأمة العربية، مؤمن بأن لغتها ودينها هما المقومان اللذان تنبني عليهما المسابقة أو التسابق الى وحدة الهدف، ولكن لا يمكنني أن أومن بوحدة الصف العربي ذلك أن وحدة الصف تقتضي وحدة الأنظمة، وحينما أقول الأنظمة لا أقول الأنظمة السياسية ولكن أعني بهذا الأنظمة الإقتصادية والإجتماعية، ففي أوروبا مثلا نجد ملكيات وجمهوريات ولكن نظامها الإجتماعي والإقتصادي نظام واحد، فلو دخل في مجموعاتها نظام واحد اشتراكي لتشتتت المجموعة الأوروبية ولم يبق إذ ذاك أي موضوع لذكر وحدة أوروبا.

إذن ما هو المشكل بالنسبة للعرب الآن ؟ هل هو مشكل وحدة الصف أم مشكل وحدة الهدف ؟

أعتقد شخصيا أن وحدة الهدف الآن هي أسبقية الأسبقيات فيما يخص مشاكل العرب، ففي هذا اليوم وربما في نفس الساعة يفتتح في القاهرة مؤتمر للبحث عن طريق السلام، فماذا كان السبب ؟ وما هي الخطوات التي أتت بهذا المؤتمر ؟

لنرجع شيئا ما إلى الوراء سنة 1967 إلى مؤتمر الخرطوم، لا اعتراف لا حوار لا سلم، وصارت الأمور إلى ما صارت إليه، ثم جاء الفتح في أكتوبر 1973م جاءت حرب أكتوبر حاملة في طياتها استرجاع العرب لثقتهم واسترجاع الجيوش لكرامتهم، ومن ثم بدأ العرب يرون المشكل من زاوية أخرى، هكذا جاء مؤتمر الجزائر سنة 1973 فقرر مقررات ووضع أسساً للعمل السياسي، وبعد المؤتمر بقليل تلته فترة مفاوضات لفك الارتباط فوجدنا نفس المشاكل بين الدول العربية المعنية إذ ذاك، ولكن بالصبر والمصابرة توصل الجميع إلى المحافظة على وحدة الصف نظراً لكوننا كنا متشبثين بوحدة الهدف.

ثم جاء مؤتمر القمة العربي في الرباط سنة 1974، وخرجنا من هناك بالمقررات التالية :

لا سلم انفرادية، تحرير جميع الأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس، استرجاع حقوق الفلسطينيين، الإعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كالمخاطب الوحيد للفلسطينيين.

وفي يوم من الأيام من الأسابيع الأخيرة فوجئنا — أقول فوجئنا — بسفر الرئيس أنور السادات أخينا وصديقنا إلى القدس، فعلى الأقل فاز هناك بصلاة العيد بالمسجد الأقصى لعله دعا معنا هناك حتى يهدينا الله جميعا ويزيدنا من فضله، أقول فوجئنا، لأنه لم يستشرنا، لأنه لم يرد ان يحرجنا حتى يتحمل وحده التبعة والمسؤولية، فان كان هناك النجاح فهو نجاح الجميع، وان كان هناك الفشل فسوف يكون فشل أنور السادات وحده.

ولقد خطب أنور السادات في البرلمان الإسرائيلي فهل فرط في حق الفلسطينيين ؟ هل تنازل عن شبر من الأرض العربية المحتلة ؟ هل تنازل عن المطالبة بالقدس ؟ هل قال : سأبرم اتفاقية منفصلة ؟ لم يقل أي شيء من هذا، والغريب أننا كنا نقبل أن يقول هذا كله لو قاله في جنيف، أو في نيويورك المليئة بالصهيونية، ولم نقبل أن يقوله في القدس، حقيقة هذه الحساسية الجغرافية ليست في مستوى العبقرية العربية، فأعتقد شخصيا أن القضية أخذت منعطفاً لا رجعة فيه، فإن سفر الرئيس أنور السادات إلى القدس وافتتاح المؤتمر اليوم بالقاهرة أعطى للقضية الفلسطينية وللقضية العربية كلها حجما آخر، بل أعطاها طبيعة أخرى.

فعلينا إذن ألا نبقى أسارى أنانيات في هذا الوقت، وفي هذا الظرف وجب على كل واحد منا أن يشد عضد أخيه حتى ننجح جميع مساعي الرئيس المصري، اما أن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون، فهي ليست من شيم العرب بكيفية عامة وليست من شيم المغرب ولن تكون من شيم المغرب.

ذلك أن أي عربي خطا خطوة عملية إيجابية لتحرير شبر من الأرض العربية المحتلة أو الإعتراف ولو بقسط قليل من حقوق الفلسطينيين كيفما كان لونه السياسي أو المشاكل التي بيني وبينه، فسوف يجدني واقفا بجانبه معينا له حتى ينهي مأموريته، فعلينا إذن أن لا نحكم ونحن وزراء العدل، ألا نحكم مسبقا على أعمال الرئيس أنور السادات، بل أعتقد أنه من الواجب على العدو أن يحس بأن مخاطبيه ليس أنور السادات وحده ولكن المجموعة العربية، وسوف تنال المجموعة العربية ان هي وقفت دفعة واحدة وبقوة متكاملة، سوف تنال من النتائج مالا يعمله أنور السادات وحده.

فأعتقد أن في هذا المجال الباب مفتوح مثل باب التوبة فباب التسابق إلى الخيرات وباب الشجاعة الفكرية مازالا مفتوحين، وهذه هي الرسالة، رسالة الود رسالة التعاطف، أن تحملوها جميعا إلى رؤسائكم، وانني لاعتبر من الفال الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يحب الفال الحسن ويحض عليه، ورغم تفكك الصفوف العربية أرى اليوم في هذه المدينة، وفي المغرب للمرة الثالثة الصفوف والحمد لله موحدة، والأسرة مجتمعة، رغم أنها تفرقت على نقط أخرى.

فالوزير العادل وهو قاضي القضاة في بلده لا يمكن أن يكون وزير العدل إذا لم يتحل بالإنصاف، فالعدل والإنصاف يختلفان، فالعدل هو القانون، والإنصاف هو الإيمان الداخلي الذي يؤمن به القاضي حينما يحكم، وإذا اجتمع العدل والإنصاف اجتمعت المقومتان الضروريتان الصالحتان للحكم ثم لتنفيذ الحكم.

فكونوا رعاكم الله ووفقكم رسلي الأمناء إلى إخواني وأشقائي الملوك والرؤساء الذين تمثلونهم، وقولو لهم : ان الحسن الثاني خادم الأمة العربية وخادم بلاده، لن يتأخر أبدا ولو دقيقة إذا اقتضت الظروف أن تسيل الدماء



من جديد، وأن يضحي العرب بأبنائهم، ولكن يناشدهم الله ألا يتركوا أخاهم الرئيس أنور السادات وحده في ساحة القتال، وهو قتال أخطر وأطول وأمر، فليس من شيمنا ولا من شيم العقل ولا من شيم الإجتهاد الفقهي أو السياسي، ولا من شيم المروءة أن نتركه وحده في الميدان.

أما فيما يخصنا هنا فنقول له : اننا معه قلباً وقالباً، فان هو نجح فسنصفق له وان هو فشل فسنكون بجانبه وبجانب العرب لنسترجع حقوقنا بالوسائل التي نراها كفيلة إذ ذاك، بالوسائل المعروفة ألا وهي التضحية حتى نرضي الله ونرضي ضمائرنا، وحتى نكون تلك الأمة التي أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بمراكش

الأربعاء 3 محرم 1398 ــ 14 دجنبر 1977